﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

بتاريخ [١٢-٥-٢٠١٧]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. يرفع ويخفض، ويغني ويقني، ويكرم ويهين، ويبتلي ويعافي، ويُضحك ويبكي، فلا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. لا راد لقضائه، ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾ [الرعد: ٤١]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته، نسأل الله أن يؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه مقامًا محمودًا الذي وعده، وأن يسقينا وإياكم من حوضه الشريف المبارك، وأن يبلغنا وإياكم الفردوس أجمعين.

وبعد...

أيُها الإخوة، فلنؤهل أنفسنا في هذه الأيام كي نكون من المحسنين، الإحسان بكل صوره وبكل معانيه، فكن محسنًا، فإنه سيأتي وقتٌ على قوم يقول أحدهم ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ [الزمر: ٥٨]. أمركم بأيديكم بعد توفيق الله لكم، فكونوا من المحسنين، وليكن لكم شعار كن محسنًا في هذه الأيام وعلى الدوام، كن محسنًا فالله يحب المحسنين، كن محسنا امتثالًا لأمر الله، إذ الله قال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ [البقرة: ١٩٥].

لا يستوي أبدًا المحسن مع المسيء أبدًا، فكن على الدوام محسنًا بكل معاني الإحسان وبكل صور الإحسان، ومن هذه المعاني الجليلة معاني الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، كذا جاء عن المعصوم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، في سؤالات جبريل له عن الإحسان قال: «أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُنْ تراه فإنَّه يراك». فراقبوا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، واعلموا أنه يسمع ويرى، وأنه معكم أينما كنتم، وأنه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

أيقنوا ان الله معكم يعلم متقلبكم ومثواكم، أيقنوا أن الله -سُبْحَانه- مطلعٌ عليكم في أي عمل كنتم، إذ الله قال: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ [يونس: ٦١]. أي: في أي شأن من شؤونك ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾. لقد قال الله للكليم موسى وهارون -عَلَيْهِما السَّلَامُ-: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)﴾ [طه: ٤٦]. لقد قال النبي لأبي بكر في الغار: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. لقد قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]. تلك من أسمى درجات الإحسان ومراتبه «أن تعبدَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُنْ تراه فإنَّه يراك».

فراقبوا الله، تصلوا بهذه المراقبة -بِإِذْنِ اللهِ- إلى درجات المحسنين، في الخلوات وفي الفلوات، وفي السر وفي العلن، وفي الظلمات وفي ضوء النهار أيقنوا أن الله معكم يسمع ويرى كما أخبركم في كتابه، وكما بين لكم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سنته، فإذا كنت تعبد الله وأنت موقن أنه يراك فبلا شك ستتقن العبادة، وتلك من أسمى معاني الإحسان. وكما ذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- صفات أخر لأهل الإحسان غير تلك التي ذُكِرت من مراقبته -جَلَّ وَعَلَا-، فقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ

وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)﴾ [الذاريات: ١٥-١٦]. ثم بين أعمالهم وصفاتهم بقوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ [الذاريات: ١٧-١٩]. فنومهم من الليل قليل، يتقلبون بين الركوع والسجود وتلاوة آي الذكر الحكيم، يتدبرون ويسجدون.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾. وكما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾ [السجدة: ١٦]. فخذوا من الليل جزءًا للصلاة وللوقوف بين يدي ربكم -سُبْحَانه-، واستغفروا بالأسحار، فإن الله قال: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)﴾ [آل عمران: ١٧]. قوموا من الليل ما استطعتم، شعارٌ ودأب للمحسنين، شعارٌ ودأب للصالحين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾.

ففي الثلث الأخير من الليل قوموا مستغفرين، فإن ربكم ينزل يقول: «هل مِن مستغفرٍ فأغفرُ له؟ هل مِن سائلٍ فأعطيه؟ هل مِن داعٍ فأجيبه؟». وذلك كل ليلةٍ، وذلك حتى يطلع الفجر، فمن سيم المحسنين ومن أعمال المحسنين الاستغفار بالأسحار ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وكما قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. جعلوا من أموالهم جزءً للسائلين وللمحرومين، فنفعهم متعدي، ليس بقاصر على صلاتهم ومراقبتهم لله فحسب، بل نفعهم للعباد واصل ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. وكذلك لا تمر عليهم الآيات الكونية هكذا، إنما يتأملونها، ويتدبرونها كما أشير إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠)﴾ [الذاريات: ٢٠].

فهم يعتبرون بالآيات وبالأحداث التي تجري على هذه الأرض، فمن أعمال أهل الإحسان إذًا ومع مراقبتهم لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كثرة صلاتهم بالليل، كذلك استغفارهم بالأسحار، وكذلك أيضًا إنفاقهم للسائلين والمحرومين، وتدبرهم في آيات الله الكونية، لا يمر عليهم الليل والنهار عبثًا، بل ينظرون إلى ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨)﴾ [الانشقاق: ١٧-١٨]. وبعد ذلك الاتساق يأفل القمر يومًا بعد يومٍ كما قال -سُبْحَانه-: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)﴾ [يس: ٣٩]. فيأخذون من ذلك عبرًا أن الدنيا لا تكتمل أبدًا لأحد، فإن الله أقسم بـ ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾. وقبله ب ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾. أي: إذا اكتمل وتتام.

وماذا بعد اكتمال القمر وتمامه؟ قال تعالى ما قد سمعتم: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. فإذا بلغت أنت أوج صحتك، وأوج مناصبك، وأوج غناك، بعد ذلك ستزول عن الدنيا وستزول عنك يومًا بعد يومٍ ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ (٦٨)﴾ [يس: ٦٨]. فمن صفات الإحسان تدبر آيات الله وتدبر ملكوت الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فكم من شابٍ وسيم قضى نحبه، وكم من فتاة حسناء بين طرفة عين وانتباهتها قُبِضت روحها، وهكذا كم من غنيٍ فارق الدنيا وترك كل ما يملك.

فمن صفات أهل الإحسان أنهم لا يمرون على هذه الآيات وهم معرضون، بل يمعنون النظر فيها والتدبر كذلك، فهذه بعض صفات المحسنين، ثم من أجل معانيهم ومن أجل أعمالهم أخذهم العفو عن الناس، سلوكهم سبيل العافين عن الناس، بل هم من أهل العفو والصفح، فربهم يقول وهم الممتثلون: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ [المائدة: ١٣]. فمن سيم أهل الإحسان التجاوز والعفو والصفح عن الناس قدر استطاعتهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

ففي هذه الأيام الطيبة دعوا نزغات الشياطين، الشياطين التي تنزغ بين العباد دعوها، وامتثلوا أمر الله، واهتدوا بهديه وهدي رسوله، إذ الله قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. فتجاوز يتجاوز الله عنك، واصفح يصفح الله عنك، واغفر يغفر الله لك، اغفر للناس يغفر الله لك، ولا تأخذك العزة بالإثم ولا تأخذك العزة بالباطل، بل تجاوز حتى يتجاوز الله عنك.

هذه أيامٌ طيبةٌ مقبلة عليكم، فتحلوا فيها بالإحسان، تحلوا فيها بكظم الغيظ، قولوها لله: عفونا يا رب عمن أساءوا إلينا من عبادك، تجاوزنا عنهم وصفحنا، ابدأوا أيُها الإخوة الكرام ابدأوا بالخير، فأنتم الخيرون ما دمتم السابقون إلى الإصلاح، لقد ذُكِر في أثرٍ والوقت لم يسعف لتحقيقه أن الحسن بن عليٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهما- كانت بينه وبين أخيه لأبيه محمد بن الحنفية العالم محمد بن علي بن أبي طالبٍ أخو الحسن والحسين للأب، كانت بينهما بعض ما يكون بين الإخوة من نزغات الشياطين، وكلاهما فاضل، وكلاهما كريمٌ، كلاهما فاضل وكريم، فأرسل محمد بن الحنفية رسالةً إلى أخيه الحسن بن علي -رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ- قال له: «يا حسن يا أخي، أنت أفضل مني، وكذلك جدك رسول الله أفضل من جدي، وأمك فاطمة بنت محمد أفضل من أمي، فكن أنت خير مني، وابدأني بالصلح حتى يثبت لك الأجر». فما كان من الحسن إلا أن بادر بالصلح، وأسرع، وأكرم أخاه غاية الإكرام.

فكونوا من أهل الإحسان، كونوا من أهل الصفح، «خيرُهما الذي يبدأُ بالسلامِ». كذا قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال: «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثةِ أيامٍ يلتقيان، فيُعْرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأُ بالسلامِ». لا تظن أنك الأدنى إذا بدأت بالسلام، بل أنت عند الله الأخير، بل أنت عند الله الأفضل في هذا الجانب من الجوانب، إذا كان لك أخٌ أساء إليك أو قريب قد جفاك، فبادر بالعفو، وبادر بالصفح،

واستبق الخيرات، ولتكن خطاك الخير أسرع من خطاه، هذا سبيل المحسنين ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

إن ربكم قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]. وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. تجاوزوا عن العباد أيُها الإخوة، تجاوزوا عن العباد المسيئين، واحمدوا الله إذ لم يجعلكم أنتم أهل إساءة، إنما جعلكم أهل صفحٍ وأهل فضلٍ، هل يرضى أحدكم أن يكون مسيئًا أم أن يكون عافيًا عن الناس؟ فكروا في آيات الله -سُبْحَانه- ، واختاروا لأنفسكم السبيل الأقوم، السبيل الأرشد، سبيل العفو عن الناس، سبيل كظم الغيظ.

إنك قد تحظى بمنزلة عالية عند الله -سُبْحَانه- لعفوك لصفحك عن الناس، قد تسبق بها عددًا من المصلين النوافل، إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر في حديثه قال: «كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ يداينُ الناسَ». «يداينُ الناسَ». يعني: يقرض، يقرض هذا، يقرض ذاك، «وكانَ يرسلُ فتيانه فيأمرُهم أنْ يُنْظِرُوا المُوسِرَ ويَتَجَوَّزُوا عَنِ المُعْسِرِ، فحُشِر بينَ يدي ربِه، سُئِل: هل عملت خيرًا؟ قالَ: ما عملت شيئًا. فكرْ هل عملت خيرًا؟ ما عملت شيئًا، إلَّا أني كنت أرسلُ فتياني فَآمُرُهم أنْ يُنْظِرُوا المُوسِرَ ويَتَجَوَّزُوا عَنِ المُعْسِرِ». أو بلفظٍ قريبٍ من هذا اللفظ «قالَ تعالى: نحن أولى بذلك مِنك، تَجَوَّزُوا عَن عبدِي». فانظروا أهل الضيق، انظروا أهل الشدة، كونوا رحماء؛ فالراحمون يرحمهم الرحمن.

أيُها الإخوة، ومن معاني الإحسان ومن أجل معانيه أيضًا الرحمة، الرحمة بالخلق حتى بالبهائم، إن نبيكم قال: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ علَى كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فأحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذَا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ». لا تعذب

الذبيحة بسكين باردة، لا تعذبها، ولا تطل الوقت في تعذيبها، فهذا من الإحسان، من الإحسان ألا تُذبَح البهيمة أو تُنحَر الناقة أمام الناقة الأخرى؛ فإن ذلك يفزعها ويخوفها، ولذا جاء النهي من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك، فكونوا رحماء.

كتب الله -عَزَّ وَجَلَّ- الإحسان على كل شيء، فكل شيءٍ ينبغي أن يكلل بالإحسان، تطالب أخاك بحقك طالبه بالإحسان، تفارق زوجتك حتى إذا قدر الله -سُبْحَانه- عدم مواصلة المعيشة بينكما، فإن الله قال: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقد فهم الحسن بن علي ذلك لما فارق زوجته؛ إذ أظهرت الشماتة في موت أبيه، قال: «متعها الحسن بأربعين ألف». وهو مبلغٌ طائلٌ آنذاك، لكن أعطاه هذا المبلغ إحسانًا وتفضلًا؛ لأن الله قال: ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وفي الآية الأخرى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)﴾ [البقرة: ٢٤١]. فكان مبلغًا كبيرًا، فنظرت إليه المرأة، وقالت تقارن بين هذا المتاع وبين فراقها للحسن، قالت: متاع هم قليل من حبيب مفارق. أي: مهما أعطاني من المال فإن فراقه أشد عليّ من كل هذا المال، فإن فراقه أشق عليّ من إعطائي كل هذا المال، فهذا متاع قليل بالنسبة للفراق فراق هذا الرجل الصالح.

فالإحسان كتبه الله -سُبْحَانه- على كل شيء، فكونوا محسنين، كونوا رحماء، ولن يضيع المحسن منكم -بِإِذْنِ اللهِ-، ولن يُهان المحسن منكم -بِإِذْنِ اللهِ-، إن من معاني الإحسان وأجل معانيه أن تتجاوز يا صاحب الحق عن شيء من حقك، إن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. قال العلماء: إن الله يأمر بالعدل، ويرشد إلى الإحسان، ويحث على الإحسان. العدل هو القصاص، والإحسان هو العفو في هذا المقام ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾. أي: يأمر بالقصاص، يرشد إلى الإحسان. فكحكم العدل يقوم، لكن كفضل الإحسان أفضل، وهذا معنى قول الله تعالى.

ومن معاني قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]. ومن معاني قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. من معاني ذلك: أن لك أن تقتص ممن ظلمك، لك أن تقتص، وهذا أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عند الأحكام، ولكن أرشدك الله إلى الإحسان، فسلوكك سبيل المحسنين أفضل من القصاص، دلت على هذا كما سلف مرارًا عشرات الآيات تدل على هذا المعنى الجميل، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]. فكل هذا عدل، عين بعين، أنف بأنف، أذن بأذن، قصاص الجروح لكن العفو أفضل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾. يُغفَر من ذنوبك، ويُكفَر عنك منها بقدر ما تعفو عن الناس.

إن الله قال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ [الحج: ٦٠]. هذا عدل ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ﴾. لكن أرشد إلى العفو بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. أي: اغفروا واعفوا؛ فإن الله يغفر لكم ويعفو عنكم، وكذلك عُلِم أن الله قال في كتابه الكريم: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]. فمن ظُلِم جائز له أن يجهر بالسوء من القول، كيف يقول؟ يقول: يا رب انتقم ممن ظلمني، وجائزٌ له أن يشهر بالظالم في الناس، يقول للناس: فلان أكل مالي، فلان اختلسني، فلان أذاني، جائز له أن ينتصر بقدر المظلمة، قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾. لكن يرشد الله إلى العفو أيضًا.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)﴾ [النساء: ١٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. ولكن ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. فمن أجل معاني الإحسان العفو والصفح، إذا لم تصفح عن زوجتك إذا أخطأت خطأ محتملًا، عمن ستصفح؟ إذا لم

تصفح عن أخيك، عمن ستصفح؟ إذا لم تصفح عن المسلمين عمن ستصفح؟ كلل مساعيك بالعفو، كللها بالصفح تدخل في عداد المحسنين -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى-.

فكتذكير كرة أخرى أقول مستعينًا بالله إن الشخص كي يدخل في عداد المحسنين عليه أولًا بسؤال الله يا رب اجعلني محسنًا، يا رب زدني إحسانًا، على المرء منا أن يسأل ربه أن يوفقه وأن يعينه كي يكون من المحسنين، وبعد يعبد الله ويراقبه، يعبد الله كأنه يراه فإن لم يراه فإن الله يراه، وبعد صلِّ من الليل قدر استطاعتك، جاهد نفسك لسلوك هذا السبيل وستجد ثمرته يانعةً -بِإِذْنِ اللهِ-، ثمرة يانعة في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

أكثر من صلاة الليل ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾. أكثر من الاستغفار في الثلث الأخير من الليل، اجعل من مالك جزءًا للسائل والمحروم، كذلك تدبر آيات الله الكونية، وتفكر فيها، وتفكر فيما يجري حولك، وليكن ثم فارق بينك وبين البهائم والعجماوات وبين أهل الكفر، إن الله ذكر في كتابه في شأن أهل الكفر: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)﴾ [يوسف: ١٠٥]. فلا تكن كذلك، كن رحيمًا بالعباد حتى بالبهائم والدواب، فتلك علامة إحسان.

لا مانع وأنت تأكل سمكًا وبجوارك قطة قد فضلك الله عليها أن ترمي لها جزء من السمك، لا تبالغ في طردها، لا تبالغ في إهانتها، لا تبالغ في طردها وزجرها، يا أخي أنت رجل، أنت الحمد لله من بني آدم، فضلك الله وكرمك على سائر الدواب، فأكرم الدابة أيضًا، إن النبي قال لما سُئِل بعد أن ذكر بحديثٍ كريمٍ ينبغي أن يُتأمل «بينما امرأة بغي من البغايا تمشي، إذ مرت بكلب يلهث من العطش، يلحس التراب من العطش، يأكل الثرى من شدة العطش، فخلعت بوقها». نعلها «ونزلت البئر». رجل فعل ذلك أو امرأة «فسقته فشكر الله لها». فلما قال النبي هذا الحديث سأله سائلٌ من أصحابه: «يا رسولَ اللهِ، أو إنَّ

لنا في البهائمِ أجرًا؟ قالَ: نعم، لَك في كُلِّ ذات كَبِدٍ رطبَةٍ أجرٌ». أي شيء له كبد تطعمه تسقيه لك فيه أجر.

فعلى ذلك، ما المانع يا أخي وأنت تأكل سمكة اترك من بطنك فارغًا، ناول القطة سمكة، ناولها رأس السمكة، أطعمها، لا تبالغ في طردها وزجرها؛ هي مخلوق من مخلوقات الله يلتمس الرزق كما أنك تلتمس الرزق، تلتمس هي الأخرى رزقها كما أنك تلتمس كذلك الأرزاق، فكن رحيمًا حتى بالبهائم، فتلك من شيم المحسنين، تلك من شيم المحسنين، كن رحيمًا لا تشق على بالضرب إذا كنت تملك دابةً، فإن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أتاه ذات يوم جمل رغى رغوات أمام رسول الله، وسال الدم من عين الجمل، فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَن صاحبُ هذا الجمل؟ قالَ: أنا يا رسولَ اللهِ. قال: ألا تتَّقي اللهَ في هذِهِ البَهيمةِ؟ إنَّ الجملَ شَكا إليَّ أنَّكَ تُجيعُهُ». فكل مخلوقٍ له طاقة وله قدرات، فلا تحمل حتى الدابة فوق طاقتها وفوق قدرتها.

لقد كان رجلٌ يسوق بقرة، فما كان منه إلا أن ركب البقرة، البقرة ظهرها لا يتحمل الركوب، لم تُخلَق لهذا، التفتت إليه البقرة قائلة: إني لم أُخلَقَ لِهذا إنما خُلِقت للحرثِ قالَ: سبحانَ اللهِ بقرةٌ تتكلَّمُ. وذهب إلى الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وأخبره، قالَ: «فإنِّي أؤمنُ بذلك أنا وأبو بكرٍ وعمرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما-». فكن رحيمًا حتى بالدواب، فأولًا اسأل الله أن يجعلك من المحسنين، الزم سبيل أهل الإحسان وصفات أهل الإحسان، صادق المحسنين، ابحث عن المحسنين، صادقهم، تعلم منهم الإحسان، اقرأ سير المحسنين في كتاب الله، اقرأ سير الأنبياء والصالحين.

إن إخوة يوسف وهم لا يعرفونه، لا يعرفون أنه يوسف، ولكن ينظرون إليه في قضائه وفي حكمه، فيقولون بعد أن اُكتشف في الظاهر أن أخاهم قد سرق: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)﴾ [يوسف: ٧٨].

فرأوه من أهل الإحسان وهو على كرسي الوزارة، وكذلك رآه أهل السجن في سجنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)﴾ [يوسف: ٣٦]. ففي السجن محسن، وهو كذلك على كرسي الحكم محسنٌ، وكذلك وهو يعفو عن إخوانه بلغ أمثل وأعلى درجات العفو مع المقدرة؛ إذ يقول له إخوته: ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)﴾ [يوسف: ٩١]. فبكل معاني العفو وبكل معاني الصفح يقول لهم بعد الذي صنعوه معه: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾ [يوسف: ٩٢].

فاقرأوا سير أهل الإحسان، اقرأوا سير الصالحين، لا تقرأوا سير الفساق، والفجار، ومسلسلات الغرام، والفسق، والفجور، بل اقرأوا سير أهل الإحسان تنصع قلوبكم بياضًا، تمتلئ قلوبكم إيمانًا، انشغلوا بالخير عن الشر، أيُها الإخوة، التوفيق دائمًا بالله ومن الله، جعلنا الله وإياكم من المحسنين، وأعنانا الله وإياكم على سلوك سبيلهم، وبلوغ مراتبهم، وأن يجمعنا بهم في الفردوس.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أيُها الإخوة، أنتم بين يدي أيام طيبة مباركة، نسأل الله أن يهل علينا وعليكم هلالها بالأمن، و الإيمان، والسلامة، والإسلام، والتوفيق لما يحبه ربنا ويرضاه، أنتم بين يدي أيام طيبة مباركة وللمحسنين فيها أعمال، وأولًا وللمسيئين أيضًا أبواب عليهم أن يطرقوها؛ ألا وهي أبواب التوبة التي لم يغلقها الله -سُبْحَانه- في وجه أحد من الخلق، بل

قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ [الزمر: ٥٣].

فإلى المسيئين، وكلنا مسيء، أبواب التوبة مفتوحة للراغبين في الدخول فلا تتخلفوا عن أبواب التوبة، لا تتخلفوا عن سلوك سبيل التائبين، إن ناسًا من أهل الشرك زنوا وأكثروا، وسرقوا وأكثروا، وقتلوا وأكثروا، فقالوا فيم بينهم وبين بعضهم: إن هذا الدين الذي يدعو إليه محمدٌ دين حسن، لو كانت لذنوبنا هذه وجرائمنا مغفرة.. قتلوا، وسرقوا، وزنوا، وقطعوا الطرق، قالوا: إن هذا الدين الذي يدعو إليه محمد لدين حسن، لو أن لذنوبنا هذه كفارات فنزلت: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وبعدها قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤)﴾ [الزمر: ٥٤]. الآيات.

فأبواب التوبة لا تُغلق أبدًا، ولقد قال ربكم في آية قال بعض العلماء هي أرجى آية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠)﴾ [النساء: ١١٠]. مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فلا ييأسن أحد أبدًا من رحمة الله، ولا ييأسن أحد أحدًا أبدًا من رحمة الله، أيُها الإخوة، أبواب الإحسان تتفتح أمام أعينكم وأنتم بين شهرٍ كريمٍ، واحمدوا الله؛ إذ جعل أيديكم العليا ولم يجعلها السفلى، احمدوا ربكم على ذلك، واشكروه، وكونوا من المحسنين.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ [الطلاق: ٧]. فهذه أيام مواساة، ضاقت بكثيرٍ من الناس الحال، وقدر الله ذلك وشاء، وآخرون موسع عليهم ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾. ولقد قال

تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾ [التغابن: ١٦]. فلينفق ذو سعة من سعته كما أمره ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾.

أيُها الإخوة، إن ربكم قال في كتابه الكريم وقد سمعتموه في بيان خصال المحسنين: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. ونبيكم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ». فليبذل الباذلون، وليطعم المطعمون، فمن أجل أبواب الخير الإطعام، الإطعام، الإطعام، سُئِل النبي: «أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: إفشاءُ السَّلَامَ وإطعامُ الطَّعَامَ». فمن شعب الإيمان ومن أفضل الشعب بعد لا إله إلا الله، وأركان الإيمان المعروفة إطعام الطعام، ولقد أثنى ربنا بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان: ٨-٩]. فباب حسن وسبيل للخيرات مقيم، سبيل للخيرات مقيم أن تطعم الطعام، اليتامى، والأرامل، والمساكين.

كونوا عوضًا عن الآباء الذين ماتوا وتركوا أيتامًا، كونوا عوضًا للأيتام عن آبائهم الذين افتقدوهم، كونوا عوضًا للمساكين، كونوا مواسين لإخوانكم من أهل الإيمان، فكانت المواساة ولم تزل من خصائص المسلمين مع بعضهم البعض، المواساة، يواسي الغني الفقير، يواسي القوي الضعيف، يواسي المعافى المبتلى، فشأننا أمة محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أننا إخوة شئنا أم أبينا، فأنفقوا، أنفقوا، وأطعموا، واصفحوا عن الناس، كونوا من أهل الإحسان، كونوا من أهل الإحسان، ولن تبلغوا ذلك ولن نبلغ ذلك إلا بالله.

اللهم اجعلنا من المحسنين، اللهم اجعلنا جميعًا من المحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، يا رب العالمين خذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى، قنا يا رب شح أنفسنا، قنا يا رب شح أنفسنا، أعنا يا رب على العفو وعلى الصفح عن عبادك، يا ربنا

أعنا على العفو، أعنا على الصفح عن عبادك يا ربنا، ووفقنا لامتثال أمرك ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)﴾ [التغابن: ١٤]. اجعلنا يا رب نخشاك نراقبك، ارزقنا خشيتك في السر والعلن، ارزقنا خشيتك في السر والعلن، ارزقنا البذل والإنفاق في السراء وفي الضراء يا رب العالمين، اللهم احفظ البلاد والعباد، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم سلم البلاد والعباد من كل مكروه وسوءٍ يا رب العالمين، فرج كروب المكروبين، وفك أسر المأسورين، واذهب الشحناء والبغضاء عن المسلمين يا رب العالمين، اشف مرضانا ومرضى المسلمين، يا رب العالمين ارحم موتانا وموتى المسلمين، يا رب توفنا على كلمتي الإيمان والهدى وأنت راضٍ عنا، وبلغنا شهرك الكريم بخير، وأمن، وإيمان وقلوب صافية محبة لك، محبة لرسولك، محبة لأهل الإيمان، صلوا على البشير النذير وسلموا تسليمًا.

وأقم الصلاة.

**********

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=rICPhm٢vc١٨&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٣٧

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share